مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(07)، العدد (02)، (ديسمبر-2022)، ص 55-70
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

الأزمة البيوطبية المعاصرة وجائحة كورونا: أزمة أسس أم أزمة عابرة

Contemporary biomedical crisis and corona pandemic: crisis foundations or transient crisis

موسى قروني [1*]، موسى فتاحين [2]

[1] مخبر التربية والابستمولوجيا ،جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، (الجزائر) m.grouni@univ-dbkm.dz .

[2] مخبر التربية والابستمولوجيا ،جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة،(الجزائر) ، m.fatahine@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 2021/10/11 **تاريخ القبول: 2022/12/26**

ملخص:

نحاول في هذه الورقة البحثية الغوص في تفاصيل الأزمة الصحية التي أحدثتها جائحة كورونا المستجدة، ونبين الآثار الصحية التي تسببت فيها أزمة كورونا، مثل متلازمة الضائقة التنفسية الحادة. والأهم من هذا كله نحاول أن نوضح عجز التقنيات البيوطبية المعاصرة في مواجهة وعلاج المشاكل الصحية التي أفرزها فيروس كورونا، والآثار الأخرى بها المرتبطة، مثل الآثار النفسية الناتجة عن القلق والهلع، والآثار الاجتماعية المتمثلة في تمزق العلاقات الاجتماعية بسبب التباعد الاجتماعي والحجر الصحي، وانتشار الايديولوجيات المقيتة وغيرها. فالأزمة البيوطبية المعاصرة هي أعمق من أن تكون أزمة ظرفية طارئة، بل هي أزمة أسس غيرت توجه الطب والبيولوجيا إلى بحوث ضررها أكثر من نفعها، بحوث نفعية ربحية مثل الاستنساخ والتلقيح الصناعي والتحسين الوراثي والإجهاض الجنائي وغيرها. هذا كله بسبب أسس وقيم الحداثة التي بنيت عليها منظوماتنا المعرفية، مثل النزعة الأداتية التقنية، والتوجه النفعي، والديمقراطية الشمولية، والذاتية الأنانية المستبدة.

الكلمات المفتاحية: تقنيات طبية معاصرة؛ جائحة كورونا؛ متلازمة الضائقة التنفسية؛ آثار نفسية؛ حداثة.

Abstract:

On paper, we try to delve into the details of the health crisis caused by the emerging Corona pandemic, and to show the health effects of the Corona crisis, such as acute respiratory distress syndrome. Most importantly, we are trying to illustrate the inability of contemporary biomedical techniques to confront and treat the health problems caused by The CORONA VIRUS, and other associated effects, such as the psychological effects of anxiety and panic, the social effects of the rupture of social relations due to social spacing and quarantine, the spread of abhorrent ideologies and others. The contemporary biomedical crisis is too deep to be an emergency, but a crisis of foundations that have changed the orientation of medicine and biology to harmful rather than its benefits, for-profit useful research such as cloning, artificial, insemination, genetic improvement, criminal abortion, etc. this is all because of the modern foundations and values on which our knowledge systems are built, such as technical radicalism, utilitarian orientation, totalitarian democracy and tyrannical selfish self-demeanour

Keywords: contemporary biomedical techniques; corona pandemic; acute respiratory distress; psychological impacts; modernity .

* المؤلف المرسل.

مقدمة:

صاحبت الأمراض والأوبئة والفيروسات الإنسان منذ بدايات وجوده الأولى وإلى يومنا هذا، حيث واجه العديد منها ومزال يواجه الكثير منها، سواء كانت أمراض وفيروسات متجددة تطورت عبر مرور الزمن أو أمراض وفيروسات جديدة وغير مألوفة. من هذا المنطلق حاول الإنسان منذ القديم السيطرة على هذه الأمراض والفيروسات عن طريق علاجها ومقاومتها، فبدأ رحلة بحثه العلاجية التي كانت مقتصرة في بداية الأمر على العلاج بالأعشاب الطبية وبعض مستخلصاتها، ثم طور من آلياته وتقنياته الطبية على المستويين التشخيصي والعلاجي لمواجهة الأمراض والفيروسات، التي شهدت بدورها تطورا على مستوى الأعراض والخطورة وسرعة الانتشار وغيرها، حيث شهد عصر الحداثة وما بعده تقدما بيوطبيا كبيرا على مستوى التشخيص والعلاج، فظهرت الجراحة الليزرية والعلاج بالجينات، وتطورت طرق التشخيص بدخول الكمبيوتر حيز التطبيق في الطب والبيولوجيا، حتى قيل أن الطب الحديث والمعاصر قادر على حل كل المشاكل الصحية ومقاومة كل الفيروسات والتحديات. لكن فيروس كورونا المستجد صدم العالم حين أدخل الطب المعاصر في أزمة خانقة، لأنه لم يتوصل لأي علاج مضاد للفيروس، رغم تقنياته المتطورة وادعاءاته المتكررة بالتفوق على كل الأزمات الصحية مهما كان نوعها، ليثير فيروس كورنا سؤالا مهما وجوهريا: هل الأزمة البيوطبية المعاصرة الناتجة عن فيروس كورونا أزمة أسس متجذرة أم هي أزمة أوضاع راهنة وقتية فرضتها الجائحة؟

انطلقنا في تدوين هذا المقال من الفرضيات التالية: فرضية التقدم البيوطبي المعاصر وما صاحبه من اكتشافات وانجازات، بالإضافة إلى فرضية جائحة كورونا وما خلفته من أزمات ومشاكل صحية ونفسية واجتماعية وغيرها، وفي الأخير فرضية العجز البيوطبي المعاصر في مواجهة الجائحة.

تتجلى أهمية الموضوع في أنه يغوص في أعماق الأزمة البيوطبية ليثبت عجز المنظومات البيوطبية، ومن ثمة ضرورة التفكير في تغييرها مع إعادة الجانب القيمي والاتيقي داخل هذه الأبحاث لضمان قدسية وكرامة الحياة ومواجهة كل الأخطار المحتملة لمثل هذه الفيروسات والأمراض المستجدة.

اعتمدنا في هذا المقال على المنهج التحليلي لأنه الأنسب للغوص في تمفصلات وتشعبات هذه الأزمة وتفكيكها لمعرفة أسبابها ومحاولة الوصول إلى نتائج تكون بمثابة حلول مستقبلية نتفادى بها مثل هذه الأزمات.

1 .التقدم البيوطبي المعاصر:

شهد القرنين الأخيرين - القرن العشرون والقرن الحادي والعشرين- تطورا علميا كبيرا في كافة الفروع المعرفية والعلمية. لا سيما التقدم الطبي والبيولوجي الرهيب والمتسارع، حيث شهد الطب والبيولوجيا ثورتين كبيرتين غير مسبوقتين بفضل المنجزات والاكتشافات التي عرفها هذين المجالين، حتى وصفا بعصري الطب والبيولوجيا. أحدث هذا التطور البيوطبي انقلابا معرفيا في الطب والبيولوجيا على حد سواء، يقول الأستاذ في الأكاديمية الطبية الفرنسية جان شارل سورنيا Jean- Charles Sourina في هذا الصدد:" منذ منتصف القرن العشرين، وجدت كل العلوم نفسها في حالة انقلابية اختفت الحدود بين الكيمياء والفيزياء ... في الطب، وبالتساؤل عن كيفية المرور من الفسيولوجيا إلى الباثولوجيا، أصبح تعريف المرض مقارنة بما هو طبيعي أكثر غموضا. بل أصبح مفهوم المرض نفسه مشكوكا فيه، وبالتالي فقدت التصنيفات المستخدمة منذ ثلاثين عاما مبررها. وفي الممارسة الطبية تلاشى ذلك الفصل المنطقي بين التشخيص والعلاج. ولهذا يتسم تاريخ الطب في العقود الخمسة الأخيرة بالكثافة والتشابك"(سورنيا، 2002، ص 320). يبين هذا القول مدى التطور العلمي الحاصل في جميع الميادين المعرفية والتخصصات العلمية، هذا التقدم العلمي أنتج العديد من الثورات العلمية مختلفة التخصصات ومتعددة الفروع، مثل ثورة الفيزياء، ثورة البيولوجيا، وثورة الطب وغيره، ثورة السيبرنيطيقا والرياضيات التطبيقية الطبية، عبرت عنها حالات الانقلابات العلمية، حيث انتقلت العلوم من حالة التخلف والركود (من حالة التجريب الى الحساب الرياضي والمعالجة السيبرنطيقية) إلى حالة التطور والتقدم.

من أهم نتائج هذا التطور العلمي المعاصر هو عودة الوفاق بين العلوم بعد فترة من التشظي والقطيعة التي أفرزتها مقولات الحداثة، إذ شهد العصر الراهن عودة التكامل بين العلوم لدرجة اختفاء الحدود الفاصلة بينها، مثل اختفاء الحدود بين الدراسات الكيمائية والدراسات الفيزيائية، حيث ظهر فرع علمي يجمع كليهما معا سمي بالكيمياء الفيزيائية وغيرها، لنعود مرة أخرى إلى حالة التكامل بين العلوم قبل انفصالها عن الفلسفة بدعوى التخصص والتفرد الناجم عن ممارسات الحداثة. من المجالات العلمية التي استفادت من هذا التقدم بدرجة كبيرة نجد الطب، الذي تطورت تقنياته وأبحاثه وتطبيقاته بسبب الترسانة التقنية والمعدات التي وفرها التطور العلمي والتقني، على سبيل المثال انتقل الطب من الفسيولوجيا الوصفية للأعضاء إلى الباثولوجيا أي العلم الذي يبحث في الأمراض من ناحية أسبابها وأعراضها ومن ثمة علاجها، هذا الانتقال الهام جعل من مفهوم المرض غامضا ومشكوكا فيه، بسبب التطورات والتحولات المتسارعة التي تطرأ على الطب وتقنياته وبحوثه، لأن مفهوم المرض يكاد يختفي بفضل الطب المعاصر الذي أوجد العلاج للكثير الأمراض من الأمراض المعدية القديمة، وعليه تم إلغاء التصنيفات السابقة التي كانت تصنف الأمراض. كما تم إلغاء الفصل بين التشخيص والعلاج، لأن العمليتين أصبحتا

متزامنتين معا ومتلاحمتين ومتلاحقتين في نفس الوقت. ليشهد بذلك الطب المعاصر في العقود الأخيرة تطورا مذهلا في بحوثه وصفت بالكثافة الكمية والكيفية، والتلاحم والتشابك فيما بينها ومع غيرها من العلوم.

أما التقدم العلمي البيولوجي فكان في مستوى التطور الطبي، حيث تمكن علماء البيولوجيا المعاصرين في السنوات الأخيرة من اكتشاف سرة الشفرة الوراثية للكائن الحي، والاطلاع على بنيته الجينية ومختلف الوظائف التي تقوم بها أعضاؤه وأجهزته وجزيئاته. يلخص جويل دو روزناي Joël de Rosnay أهم التطورات البيولوجية والبحوث المستجدة في ميدان علوم الحياة في قوله:" في غضون ثلاثين سنة، شهدت البيولوجيا ثورة استثنائية: جرى اكتشاف الرمز الجيني، وآليات تنظيم الخلايا، وبنية الخلية والأعضاء الجزيئية التي تكونها، ودور الغشاء الخلوي والاتصالات بين الخلايا، كما انبثقت اختصاصات جديدة: علم المناعة، وعلم الغدد الصماء العصبي، وكيمياء الدماغ، وهندسة الجينات. وحصل فهم أفضل لأصل الجزيئات السرطانية ... وقد قادت هذه الثورة إلى تطوير أدوات وطرق جديدة تضع على كاهل البيولوجيين مسؤولية ثقيلة: فلأول مرة لا يحدد التطور البيولوجي فقط بلعبة الطفور والانتقاء الطبيعي، وإنما يمكنه أن يكون على الإنسان.

وباعتباره قادرا على صنع أنواع حيوانية ونباتية جديدة، فقد أصبح بذلك "مهندسا للإنسان" و"ساحرا حقيقيا للجينات" التي يستطيع إعادة برمجتها حسب إرادته"(دو روزناي، 2003، الصفحات201،202). يوضح هذا القول مدى التطور الحاصل في ميدان البيولوجيا، ويبين معالم الثورة الإحيائية، حيث تمكن علماء البيولوجيا في العصر المعاصر من اكتشاف سر الشفرة الوراثية للكائن الحي، وكذا معرفة التعبير الوراثي وجميع العمليات التي تحدث على مستوى الجينات والخلايا، وخاصة بعدما تمكنوا من معرفة مكونات وبنية ووظيفة الحامض النووي للكائن الحي بما في ذلك الإنسان.

بالإضافة إلى تمكنهم من معرفة أسرار الخلية بوصفها وحدة البناء الأساسية في أجسام الكائنات الحية، حيث استطاعوا التعرف على بنية الخلية ومكوناتها، ومختلف الآليات التي تنظم العمليات الخلوية داخل الجسم، كما تمكنوا من معرفة وتحديد دور الغشاء الخلوي المتمثل في حماية مكونات الخلية. استطاع علماء البيولوجيا من معرفة الكيفية التي تتواصل فيها الخلايا فيما بينها، بوصفها نسيج خلوي يشكل بنية جسم الكائن الحي. لم يقتصر التطور البيولوجي على هذه الاكتشافات والمعارف المستجدة، بل امتد ليشمل ظهور فروع ودراسات بيولوجية جديدة، مثل علم المناعة الذي يختص ببحث ودراسة الجهاز المناعي للكائنات الحية محاولا تعزيز قدراتها المناعية لمقاومة كل التهديدات والمخاطر التي تسببها الأمراض والفيروسات. وعلم الغدد الصماء العصبي الذي يبحث في الغدد العصبية لمعالجة الاختلالات التي تصيب الأعصاب، وكذا معرفة كيفية عمل الجهاز العصبي. كما ظهرت هندسة الجينات Genetic Engineering التي أحدثت ثورة

حقيقة في البيولوجيا والطب على حد سواء، لا سيما تصميم الجينات الموجهة للعلاج الجيني، وهندسة الأعضاء وزرعها، ومعالجة العيوب الجينية وغيرها من العلوم والدراسات. بالإضافة إلى هذا كله مكن التطور البيولوجي من تعميق فهمنا للخلايا والجزيئات الجرثومية المسببة للسرطان، مما يفتح باب أمل لمعالجة هذا المرض الفتاك في المستقبل، خاصة مع تطور بحوث الخلايا الجذعية والعلاج الجيني.

إنّ إدخال الكمبيوتر والتقنيات المعلوماتية في البيولوجيا والطب سيقفز بهذين المجالين إلى منحى غير متوقع وغير مألوف، يوضح ميتشو كاكو هذا التقدم المتوقع بقوله:" وسيكون لهذا معان عميقة في الطب والبيولوجيا، وسيتم التخلص من عدد من الأمراض الوراثية عن حقن طريق خلايا بالجين الصحيح. ولأن السرطان اكتشف الآن على أنه سلسلة من التحولات الجينية فقد يكون من الممكن أخيرا- علاج أصناف عدة من السرطانات دون الحاجة إلى جراحة واسعة أو معالجة كيميائية. وبالمثل فإنّ عددا من الكائنات الدقيقة التي تسبب الأمراض المعدية ستقهر عن طريق البقع الجزئية الضعيفة في جهاز مناعتها وخلق وسائط تهاجم هذه البقع الضعيفة. وستتقدم معرفتنا الجزيئية بتطور الخلية بحيث نتمكن من تربية أعضاء كاملة في المعمل بما في ذلك الكلى والكبد" (كاكو، 2001، صفحة 25). نستنتج من هذا القول مدى التغيير الذي سيطرأ على الطب والبيولوجيا عندما يتم إدخال وتطبيق التقنيات المعلوماتية في بحوثهما وتجاربهما، ولا سيما إدخال الحاسوب في هذين المجالين. حيث سنتمكن من علاج الكثير من الأمراض الجينية بواسطة العلاج الجيني والهندسة الجينية وزرع الأعضاء التي تعتمد أساسا على المعلوماتية سواء في التخطيط أو الهندسة والتجريب الافتراضي والمحاكاة قبل تجريبها وتطبيقها على جسم الكائن الحي، إذ يمكننا العلاج الجيني من إدخال الجين المناسب والصحيح لتعويض واستبدال الجين التالف الذي لا يعمل بشكل صحيح. فتح العلاج الجيني نوعا جديدا من العلاج غير مسبوق.

كما مكننا هذا التوجه البيومعلوماتي والمعلوماتي الطبي من تعميق فهمنا للخلايا المسببة للسرطان، حيث تم بالفعل معرفة سبب السرطان، فهو عبارة عن تحولات وراثية في جينات وخلايا الجسم تحيد بها عن نمط عملها الطبيعي والسليم، وعليه يمكننا أخيرا معالجة العديد من أنواع السرطان دون اللجوء إلى عمليات جراحية مرهقة ومكلفة، أو القيام بعلاج كيميائي متعب ومؤلم، سيتم هذا عن طريق العلاج الجينية والهندسة الجينية، كما سيساهم علم المناعة في تعزيز قدراتنا المناعية لمنع هذه التحولات الوراثية. إنّ هذا التطور الطبي والبيولوجي سيسمح لنا مستقبلا من هندسة وإنتاج أعضاء كاملة في مختبراتنا مثل الكلى والكبد، انطلاقا من بحوث البيولوجيا الخلوية التي عمقت فهمنا للخلية وبنيتها ووظيفتها وكل ما يحيط بعالمها السحري. وعليه يمكن اعتبار القرنين العشرين والواحد والعشرين قرنا الطب والبيولوجيا بامتياز.

2. الجائحة والأزمة البيوطبية المعاصرة:

يعرف كوفيد-19 بأنه:" الاسم الذي أطلقته منظمة الصحة العالمية في 11 فبراير 2020 على المرض الذي يسببه فيروس كورونا، ويكون مصحوبا بالحمى، والعياء، والسعال إضافة إلى المشاكل التنفسية. وقد تكون بعض الحالات المصابة شديدة تؤدي إلى الوفاة أحيانا. وقد تم إضافة الرقم 19 إشارة إلى العام 2019 الذي اكتشفت فيه أول حالة للفيروس"(ولد عامر وآخرون، 2020، ص 16). بمعنى أن فيروس كورونا عموما هو عبارة عن نوع من عائلة الفيروسات ذات الشكل التاجي، ففيروس كورونا المستجد هو نوع من فيروسات كورنا التاجية، يتسبب في مشاكل صحية على مستوى الجهاز التنفسي للإنسان، من الأعراض الدالة على الإصابة بهذا الفيروس ارتفاع درجة الحرارة فوق مستواها الطبيعي بدرجة كبيرة، وكذا معاناة الإنسان من التعب والإرهاق والضعف، بالإضافة إلى معاناة المصاب من نوبة سعال حادة وجافة، ومشاكل تنفسية تتفاوت درجة خطورتها من شخص إلى آخر، فهناك حالات خطيرة يعاني فيها الفرد من ضيق في التنفس يؤدي إلى الموت. تم إضافة الرقم 19 المصاحب للتسمية للدلالة على العام الذي ظهر فيه هذا الفيروس، حيث تعود أول حالة إصابة بهذا الفيروس إلى ديسمبر 2019.

تهاجم الفيروسات التاجية – بما فيها فيروس كونا المستجد- الأعضاء والأجهزة المسؤولة عن التنفس، كالأنف والبلعوم والرئة، حيث تعمل على تعطيل وتخريب خلاياها الطلائية الهدبية. تتم عملية المهاجمة هذه عن طريق مستقبلات خاصة موجودة في هذه الخلايا، تسمى بمستقبلات "أمينوبيتيداز" أو مستقبلات "حمض السياليك". أما في حالة مهاجمة الفيروس للجهاز التنفسي مباشرة، فتكون عبر مستقبلات إنزيم " أنجيوتنسن 2 المتحول" حيث تعمل المادة الوراثية للفيروس على إحداث انقسامات داخلية في السيتوبلازم للجهاز التنفسي مما يؤدي إلى تخريب الخلايا الطلائية. ثم تصيب الخلايا المسؤولة عن الرد المناعي في الجسم والمسماة بخلايا "الكيموكاينز" وخلايا "الانترولوكينز" وهي خلايا بروتينية متناهية الصغر مسؤولة على الرد المناعي. عندما تدمر المادة الوراثية للفيروس هذه الخلايا تتطور أعراض المرض وتتأزم صحة المصاب، حيث يصاب بأزمة تنفسية حادة(أنور العليوي، 2020، الصفحات 23،24).

تنقسم الأعراض والمشاكل الصحية التي يسببها فيروس كورونا المستجد، إلى مشاكل شائعة الحدوث بين أغلبية الحدوث، ومشاكل وأعراض نادرة الحدوث عند البعض. فالمشاكل الصحية والأعراض شائعة الحدوث الدالة عن الإصابة بالفيروس بعد اكتمال مدة حضانته المقدرة من يومين إلى أربعة عشر يوما، تتمثل في احساس المصاب بالعياء الشديد والحمى، والمعاناة من نوبة سعال جاف. أما المشاكل الصحية نادرة الحدوث فتتمثل في إنغلاق الأنف وسيلانه، بالإصافة إلى التهاب الحلق والإسهال، مما يؤدي إلى معانات الشخص المصاب من صعوبة في التنفس وإنخفاض الأكسجين في الدم، لا سيما الأشخاص المصابين بأمراض مزمنة، حيث ينقل هؤلاء الأشخاص إلى

العناية المركزة لتزويدهم بالأكسجين. من الممكن جدا أن تتطور حالتهم الصحية وتتأزم بسرعة كبيرة ليصبحوا معرضين للإصابة بما يسمى " متلازمة الضائقة التنفسية الحادة"، كما يمكن أن يتعرضوا إلى الصدمة الإنتائية والحامض الاستقلابي التي تعد من الأمراض المستعصية عن العلاج. بالإضافة إلى هذا كله إمكانية تعرضهم إلى نزيف دموي، وتخثر الدم وغيرها من الأزمات الصحية الناتجة عن الإصابة بفيروس كورونا(هوي، 2020، صفحة 10).

إنّ هذه الأزمات الصحية الناتجة عن فيروس كورونا المستجد كوفيد-19، أدخلت الطب والبيولوجيا بتقنياتهما ووسائلهما المتطورة، ومعارفهما المتجددة في أزمة حقيقية وعميقة، حيث تسبب في عجزهما عن إيجاد علاج أو لقاح مضاد له، كما لم يجدوا دواء وعلاج يقضي بصفة نهائية على المشاكل الصحية التي يسببها، حيث:" أربكت جائحة كورونا بانتشارها السريع برامج الدول للتعامل معها، واتضح أن القطاع الصحي في أغلب الدول التي توصف بالعظمى أو القوية أو المتقدمة لم تكن مستعدة للتعامل مع الجائحة بكفاءة ... الأدهى والأمر، أن الدول الغربية فشلت في اتخاذ قرارات صارمة لتحول دون انتشار الوباء انتشارا واسعا، حيث وجدت أن إمكانياتها الصحية دون مستوى التفاعل بفاعلية مع الجائحة"(مجموعة مؤلفين، دت، صفحة 34).

فضح فيروس كورونا المستجدة المنظومات الصحية العالمية التي ادعت القوة والتطور والقدرة على مواجهة كل التحديات، سواء على مستوى الرعاية الصحية أو اتخاذ القرارات الفعالة أو العلاج، حيث كشف هشاشتها ورتابتها وسوء تعاملها مع جائحة كورونا، بالإضافة إلى عدم استعدادها لمواجهة الأزمات الصحية المفاجئة، فالإمكانيات الطبية لهذه المنظومات محدودة ودون مستوى التعامل الفعال مع مستوى الجائحة، إذ افتقدت في الكثير من الأحيان إلى أبسط المستلزمات الوقائية من كمامات وقفازات وغيرها، لتشتعل الحروب والقرصنة من أجل اقتناء هذه المستلزمات البسيطة، فما بالك بمحاولة علاج هذا الفيروس الذي سيتطلب وقتا طويلا. هذا ما يدفعنا بقوة أكثر من وقت مضى إلى إعادة التفكير في السياسات الصحية والطبية وتوجهاتها البحثية، والأهم من هذا إعادة التفكير في أسس البيولوجيا والطب وفي منهجهما وتوجهاتهما البحثية، وفي طريقة تدريسهما، لأن الأزمة البيوطبية الحالية أعمق من أن تكون أزمة طارئة ومفاجئة، لنتساءل عن الفائدة التي سننالها من بحوث الاستنساخ والإجهاض والتحسين الوراثي وغيرها.

لم يستطع الطب بترسانته التقنية المتطورة، ولا البيولوجيا بوسائلها المتقدمة، أن يجدا علاجا أو لقاحا لعلاج المشاكل الصحية لفيروس كورونا، وعليه:" لا يوجد أي علاج لعلاج كوفيد-19. هناك بعض التوصيات الضعيفة فقط ضد استخدام العديد من الأدوية المضادة للفيروسات. ولا تزال هناك دراسات أخرى جارية، واتضح أن هيدروسكي كلوروكيين-الذي بدا في البداية وعادا- ، ضارا، قديعيد للسطح، حيث تجري دراسات أكبر ليتم التحكم فيه"(Abbo, 2020, p. 44). نستنتج

من هذا القول عدم توصل الطب والبيولوجيا إلى علاج أو لقاح يقضي على فيروس كورونا بصفة نهائية، وبالتالي يخلص الإنسان من المشاكل الصحية التي يسببها الفيروس، كل ما هنالك بعض التوصيات التي تحذر وتمنع بعض الأدوية للفيروسات بسبب خطورتها وأعراضها الجانبية. حتى الكلوروكيين الذي كان بمثابة علاج واعد لتخفيف الأعراض المترتبة عن الإصابة بالفيروس، أثبت الدراسات خطورته على صحة الفرد، إذ يتسبب في أعراض جانبية خطيرة، وعليه تم البدء في دراسات أخرى حول الكلوركيين من أجل التحكم وتخفيف الأعراض الجانبية التي يسببها. لتبقى أزمة الطب متواصلة، بل تتأكد وتتعمق يوما بعد يوم، وتلح على الفكيير في التغيير العميق للمنظومات المعرفية في الطب والبيولوجية التي طغت عليها النزعة النفعية الربحية الاقتصادية.

لم يتم التوصل إلى علاج نهائي لفيروس كورونا المستجد، فتم اللجوء قسرا إلى العلاج الداعم للمناعة، والمخفف للأضرار والأعراض، حيث:" بما أنه لم يتم تحديد أي علاجات مضادة للفيروسات ضد كوفيد-19 بشكل قاطع، فإنّ العلاج الداعم في المقام الأول، تستخدم العديد من العوامل الدوائية والعلاجات لتخفيف أعراض كوفيد-19، مثل الباراسيتامول للحمى، والكوديين للسعال، والتهوية للضائقة التنفسية"(Prablakar, and others, 2020, p. 215). يبين هذا القول الانفلات الطبي الذي يشهده الطب المعاصر والعجز الكامل الذي يعاني منه في محاولته لإيجاد علاج أو لقاح مضاد لفيروس كورونا، ليتم اللجوء عنوة إلى العلاجات الداعمة للمناعة والمخففة لأعراض، كاستعمال الباراسيتامول لتخفيف درجة الحرارة المرتفعة، واستخدام الكوديين لتخفيف السعال، واللجوء إلى تهوية الغرف لتخفيف الضيق التنفسي للمصاب. فضح فيروس كورونا هشاشة ورتابة الطب المعاصر، وسطحية تفكي وتجهيز المنضومات الصحية العالمية التي ادعت التفوق والتقدم.

يجمع أخصائيو أمراض الرئة على عدم وجود لقاح أو علاج مضاد للفيروس كورونا المستجد، هذا ما يبينه هذا القول:" لا يوجد علاج مضاد للفيروسات محدد موصى به لعلاج كوفيد-19، ولا يوجد لقاح متاح في هذا الوقت"(Tinku & Ashkan, p. 15). هذه شهادة من أهل الاختصاص وذوي الخبرة في مجال الأمراض الرئوية، التي تؤكد على عدم وجود علاج أولقاح مضاد لفيروس كورونا، هذا الاعتراف أكبر دليل على الأزمة العميقة التي يعيشها الطب المعاصر، فهي أزمة أسس لا أزمة ظرف راهن.

تتواصل أزمة وخيبة الطب المعاصر في مواجهة جائحة كورونا، فحتى العلاج بالمضادات الحيوية لا يجدي نفعا أمام فيروس كورونا، لأن المضادات الحيوية موجهة لعلاج آثار البكتيريا، وليس لمواجهة الفيروسات. وعليه تحذر جميع المنظمات الصحية من استخدام المضادات الحيوية في الوقاية من الالتهاب الرئوي الناتج عن فيروس كورونا، لأنها قد تتسبب في أضرار جسمانية للمصاب، نتيجة التفاعلات الدوائية التي يمكن أن تحدث جراء استعمالها، مما قد يسبب مرض

الفلورا المعدية للمصاب. وبالتالي تمنع استعمالات المضادات الحيوية سواء في الوقاية أو العلاج(اللجنةالوطنية الصينية للصحة و مكتب الإدارة الوطنية للطب الصيني،2020،صفحة 60).

يضاف إلى فشل العلاج بالمضادات الحيوية، فشل ذريع آخر ، يتمثل في عدم وجود مكمل غذائي يعالج فيروس كورونا، أو حتى وجود عادات غذائية أو نظام غذائي يشفي من أمراض فيروس كورونا، أو يخفف أعراضها. ذلك أن وظيفة ودور المكمل الغذائي هو تعزيز المناعة وتحسينها فقط. لتبقى الوقاية والحجر الصحي والنظافة والتباعد الاجتماعي سبيلنا الوحيد للوقاية من فيروس كورونا(الموصلي، 2020، صفحة 40).

عموما كشف فيروس كورونا الهشاشة التي يعاني منها كل من الطب والبيولوجيا، وعجزهما عن مواجهة تداعيات الجائحة، لأنهما اهتما بدراسة أمور هامشية سطحية بعيد المنال وصعبة التحقق، وضررها أكثر من نفعها على غرار الاستنساخ البشري وتحسين النسل والإجهاض وتكنولوجيا الإخصاب الصناعي وغيرها، وابتعدا عن دراسات الأمراض والفيروسات التي نعايشها كل يوم في حياتنا، ولا سيما في الآونة الأخيرة، فلا يكاد يختفي فيروس حتى يظهر آخر، ولا نكاد نعالج مرضا حتى يفاجئنا آخر، وكأننا أما مؤامرة على الجنس البشري، أو أننا في وسط حرب بيولوجية طبية مبطنة لا نرى سوى آثارها المد

3. التأثيرات النفسية والاجتماعية لجائحة كورونا على الفرد والمجتمع:

انعكس العجز الطبي في مواجهة فيروس كورونا سلبا على جميع مناحي حياة الإنسان، بل على المجتمع برمته، في البداية كانت صحة، لتصبح اليوم أزمة شاملة نفسية واجتماعية واقتصادية إلخ، حيث:" إنّ الفيروس التاجي لا يدمر فقط صحة الناس، بل إنه في الوقت نفسه يتحدث عن الوظائف ويضطر إلى إغلاق الأعمال التجارية، ويلحق الخراب بالاقتصاد العالمي. هذه الأزمة تجلب بالتأكيد الكثير من عدم اللايقين لحياتنا، والعمل والاستثمار، يجب على الجميع بغض النظر عن العمر والجنسية أن يرحلوا عن حياتنا اليومية المليئة بالخوف وانعدام الأمن والقلق.

وقد تستمر محاربة ذلك لفترة طويلة حتى يتم تطوير لقاح قادر على القضاء على الفيروس تماما"(Hobbes & Heng, p. 128). إنّ فشل الطب المعاصر في إيجاد علاج أولقاح مضاد للفيروس كورونا ويقضي عليه نهائيا، قد زاد من حدة وحجم الأزمة، فلم تعد مقتصرة على الجانب الصحي فقط، بل انتقلت من المشاكل الصحية لتحدث مشاكل نفسية خطيرة تتمثل في حالة القلق والهلع، بسبب الصدمة التي تعرض لها الإنسان وهو يرى عجز الطب أمام الجائحة، وتتحطم بذلك ثقته العمياء بالعلم والطب، وكذا القلق الوجودي على مصيره ومستقبله في ظل الغموض وعدم توصل الطب لأي علاج، ليدخل الإنسان في حالة شك وانعدام اليقين والثقة، وكذا عدم الشعور بالأمن. بالإضافة إلى فقدان وظيفته وأعماله التجارية أو غيرها بسبب الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي والتدابير الوقائية التي أغلقت كل شيء، يضاف إليها المشاكل الاقتصادية التي

تضرب الاقتصاد العالمي والبطالة، وتمزق العلاقات الاجتماعية بسبب التباعد والخوف، سيتسمر هذا الأمر ما لم يتم إيجاد لقاح نهائي للفيروس. لقد وجد الإنسان نفسه وحيدا في مواجهة الفيروس بسبب عجز المنظومات الصحية والطب عن انقاذ حياته، بل وجد نفسه عزلة بلا عمل ومع قلق نفسي رهيب يعكر حياته، فانقلبت حياته في لحظة إلى جحيم لا يطاق.

كادت جائحة كورونا أن تمزق العلاقات الإنسانية، إذ وسعت الفجوة بين الأنا والآخر بسبب العزلة القسرية، والتباعد الاجتماعي الوقائي، لتحقق مقولة سارتر بحذافيرها "الآخرون هم الجحيم". إنّ وباء كورونا وإن أعاد لمّ شتات الأسرة بعد تشظي طويل الأمد، إلا أنه أحدث شرخا وقطيعة من نوع جديد تتمثل في تمزيق العلاقات الاجتماعية لنعيش عزلة قسرية دون أن نتواصل أو نحتك مع الآخر، ويصبح الغير جحيما وتهديدا للحياة، وعليه لم يصبح الآخر سبب نفوري، أو منافسي في الوجود، وغير من الأسباب المصطنعة بل أصبح يهدد حياتي ووجودي برمته، بوصفه ناقل للعدوى التي قد تتسبب في موتي. كشفت الجائحة الكثير من الحقائق الواهية التي تتطلب إعادة النظر فيها مثل الفردانية الحداثية التي أقصت الآخر من الوجود، لأن القضية اليوم هي قضية وجود مشترك، أحتاج للآخر لحمايتي ووقايتي كما هو في حاجة لي لحمايته، وعليه وجب النظر في علاقة الأنا بالآخر على أساس الاعتراف والانفتاح والاحترام، قصد تكاثف الجهود من أجل الخروج من الأزمة في أقرب وقت، وبأخف الأضرار(مجموعة مؤلفين، 2020،الصفحات 255-257)

أما على الصعيد النفسي فالتأثير أشد وأعمق، لأنه يتعلق بالخوف والهلع والقلق من التعرض للإصابة ومن ثمة الموت، فهو قلق وجودي يتعلق بالمصير، وخاصة في ظل عدم التوصل إلى أي علاج، مما يزيد من حدة التوتر والقلق، لا سيما مع العزلة والحجر الصحي، الذي يزيد في أرق الفرد، ويتسبب في تغيير سبلوكه، حيث تحول من فرد حر في تنقلاته وتصرفاته إلى فرد مجبر على العزلة وقطع صلاته الاجتماعية، بالإضافة سلب حريته، كلها وقائع لها تأثير بالغ وخطير على النفس البشرية، ليتجه الأفراد مجبرين إلى الإدمان على الوسائل الالكترونية التي تسبب أزمات نفسية وانعزال عن الواقع، وضعف الشخصية لا سيما على الأطفال. دون أن ننسى التهويل الإعلامي الذي زاد في قلق وتوتر الإنسان(مجموعة مؤلفين، الاجتماعية والتربوية والنفسية، 2020، صفحة276).

4. جائحة كورونا والإيديولوجيا:

من الممارسات الخطيرة التي كشفت عنها جائحة كورونا، الممارسات الإيديولوجية الدفينة التي زادت حدتها في ظل أزمة كورونا، من إشاعة الأخبار الكاذبة، والمؤامرات وسياسات التهويل والترهيب التي تمارسها وسائل الإعلام، يخلص الفليسوف النمساوي سلافوي جيجيك Slavoj Žižek هذه الملامح الإيديولوجية في قوله:" كما أدى الانتشار المستمر لوباء الفيروس التاجي إلى انتشار وباء واسع النطاق من الفيروسات الإيديولوجية التي كانت نائمة في مجتمعنا: الأخبار الزائفة، ونظريات

المؤامرة بجنون العظمة وتفجيرات العنصرية. وجدت الحاجة الطبية الراسخة للحجر الصحي صدى في الضغط الإيديولوجي لإقامة حدود واضحة والحجر الصحي للأعداء الذين يشكلون تهديدا لهويتنا"(ŽIŽEK, 2020, p. 39). فضح فيروس كورونا المجتمع العالمي وممارساته الإيديولوجية، مثل إشاعة الأخبار الكاذبة وتزييف الحقائق والوقائع، والتهويل والترهيب، التي أطلقت حول فيروس سواء في مصدره أو أسبابه أو المتسبب فيه، حيث شهدنا تبادل التهم بين الصين وأمريكا كل واحد ينسب مسؤولية انتشار الفيروس للآخر، كما انتشرت نظريات المؤامرة بين الدول وقرصنة المعدات الطبية المقتناة، بالإضافة إلى حرمان الكثير من الدول من المساعدات على غرار ما حدث مع إيطاليا التي لم تجد الإتحاد الأوربي ولا أمريكا في عونها، ما عدا الصين التي مدت لها يد العون.

والأخطر من هذا كله زيادة التمييز العنصري خاصة ضد الجنس الآسيوي ولا سيما الصيني، الذي يعتقد أنه سبب انتشار الوباء، وزيادة التميز العنصري ضد السود وغيرها. إنّ هذه الصراعات الإيديولوجية دليل على العجز الطبي الذي تعاني منه المنظومات الصحية العالمية تحاول عدم توجيه النظر إليه، بالإضافة إلى الصراع الإيديولوجي والسياسي المعهود بين الرأسمالية والشيوعية حول زعامة النظام العالمي. كما يعتبر من مفرزات الحداثة الغربية بفرادنيتها المقيتة وديمقراطيتها الشمولية المتسلطة، حيث يرى الكثيرون أن الحجر الصحي ما هو إلا سلب لحرية الأفراد لفرض سلطة الدولة عليهم وحماية مصالحها الشخصية.

إنّ فيروس كورونا حسب الليبراليين واليساريين يخدم مصالح الأنظمة الشمولية الحداثية القائمة على فكرة الديمقراطية، إذ أن الحجر الصحي والتباعد الاجتماعي ساعدا في سهولة التحكم في الأفراد، يقول سلافوي جيجيك في هذا الصدد:" وقد لاحظ العديد من المعلقين الليبراليين واليساريين كيف أن وباء الفيروس التاجي يخدم على تبرير وإضفاء الشرعية على تدابير السيطرة والتنظيم على الشعب، هذه التدابير لم يكن من الممكن حتى الآن تصورها في مجتمع ديمقراطي غربي. إنّ إغلاق كل إيطاليا هو بالتأكيد أنفق طموح شمولي يتحقق، ولا عجب في أن الصين، كما هي الحال الآن، أثبتت قدرتها على التحكم الاجتماعي الرقمي الواسع النطاق، أنها أفضل تجهيز للتعامل مع وباء كارثي. هل يعني على الأقل في بعض الجوانب أن الصين هي مستقبلنا؟" (ŽIŽEK, 2020, p. 73).

فضح فيروس كورونا عيوب الأنظمة الشمولية الحداثية القائمة على الذاتية والمنفعة الفردية والديمقراطية الشمولية المتسلطة، والحرية الواهية، فالتدابير الوقائية الناصة على الحجر المنزلي والعزلة، وضرورة التباعد الاجتماعي، هي في الحقيقة- حسب الليبراليين واليساريين- أكبر تعسف يمارس على الإنسان، حيث سلبت منه حريته بغية إضفاء الشرعية على الأنظمة الديمقراطية الشمولية، وكذلك قصد التحكم في الأفراد وبسط سلطتها عليهم، من خلال سلبهم حرية التنقل، وخير دليل على هذا التعسف إغلاق إيطاليا بأكملها، وعليه تعطيل مصالح

الأشخاص، وسلبهم حرية التنقل والعمل لخير دليل على النفاق الديمقراطي الشمولي، وطموحه الشخصي في السيطرة دون مراعاة مصالح وفائدة الشعب.

في المقابل حظيت السياسة الصينية بالتهليل والثناء في تعاملها السلسل والفعال مع الجائحة، من خلال تطورها الرقمي الذي سمح لها التحكم في الوضع الوبائي بفعالية كبيرة دون سلب الأفراد حريتهم. ليطرح السؤال هل حان وقت التغيير وتنصيب الصين في زعامة النظام العالمي، وبالتالي انتهاء الزعامة الغربية وفي مقدمتها أمريكا. وعليه بين فيروس كورونا الصراع السياسي والإيديولوجي بين المعسكرين الصيني والأمريكي حول زعامة النظام العالمي الجديد، هناك أسبقية طفيفة للصين لأنها أثبتت نجاعتها وفعاليتها في مواجهة الوباء الكارثي، على حساب أمريكا التي فشلت فشلا ذريعا في التعامل مع هذا الوضع الصحي.

كشف فيروس كورونا المستجد عن هشاشة المنظومات المعرفية والعلمية بداية من الحداثة، حيث لم تعد المعرفة تنمية المدارك العقلية وتجميع المعلومات وفهم الأشياء وتسخيرها في خدمة الإنسان والسعي لتحقيق رفاهيته وسعادته تحت شعار تحرير الشرية من القيود والقمع، لكن الحقيقة عكس هذا تماما، حيث أصبحت المعرفة أداة للسيطرة ووسيلة للقمع وممارسة التسلط، فمن السيطرة على الطبيعة التي بدأها فرانسيس بيكون وديكارت، إلى السيطرة على الإنسان بواسطة التقنية والسلع الاستهلاكية إرضاء للجشع الاقتصادي المادي والرأسمالي، لتتحول المعرفة إلى سلطة مطلقة تتحكم في الطبيعة وفي الإنسان، لتكون بعد ذلك وسيلة سهلة تستخدم في الحروب الإيدلوجية والسياسية والاقتصادية، لتتسابق الأمم المتقدمة على اكتساب المعرفة سعيا لبسط سيطرتها، مما أدى إلى ظهور الكثير من الأبحاث العلمية ضررها أكبر من نفعها مثل الاستنساخ البشري والاجهاض وبحوث التحسين الوراثي وغيرها، وانصرف البحث العلمي عن البحث عن الفيروسات والأوبئة المنتشرة والتنبؤ بها، وابتكار وسائل لمجابهة هذه الأزمات، مثلما يحدث اليوم مع فيروس كورونا الذي أدخل العالم بأسره في معاناة وأزمة لم يجد لها حلا إلى حد الساعة. حاولت التيارات النقدية المعاصرة ولا سيما مدرسة فرانكفورت بأجيالها المختلفة تسليط الضوء على القمع والتسلط والاستلاب الذي يتعرض له الإنسان، من خلال فضح عيوب التنوير والحداثة وتبيين أوهام العقلانية والتقدم والرفاه، إلا أنها لم تجسم إلى أفعال جادة ورادعة تحد من سياسات التسلط المعرفي والاقتصادي (هروس، 2020، الصفحات 122،124).

إنّ الأزمة البيوطبية المعاصرة هي أزمة أسس متراكمة منذ عقود، لم تجد ما يختبرها ويفضحها، حتى جاء فيروس كورونا ليكشف خباياها. سبب هذه الأزمة يعود إلى الأسس التي بنيت عليها المنظومات المعرفية ككل بما فيها الطب والبيولوجيا. فالتوجه التقني الأداتي للعلم الحداثي قد حول كل شيء إلى مادة قابلة للتفكيك والتجريب، بما في ذلك الإنسان، بل حول كل شيء إلى سلعة قابلة للبيع، فأصبحت أعضاء البشر تباع في الحلات كأنها قطع غيار، وأصبحت تنتهك حياته

لسبب شخصي عن طريق الإجهاض، أو لدوافع تحسينية مثلما يحدث في التحسين الوراثي، بالإضافة إلى التلاعب بجيناته وخلاياه، كما يحدث في التلقيح الصناعي، والتعديل الجيني، والاستنساخ، ليصبح الطب العاصر عن سوق مفتوح الفائز من يدفع أكثر، ونتحول إلى الاقتصاد الطبي، والتنافس الاقتصادي النفعي الطبي، بدل أن ننكب على دراسة الأمراض التي تهدد حياتنا كل يوم، وبدل أن نجد لقاحا نقاوم به الفيروسات التي تهدد حياتنا كل يوم.

لقد تحول من وسيلة للانقاذ والحياة إلى أداة للقتل والربح والنفع، وعليه تمزقت صورة الطب الناصعة عندما كان همه انقاذ الحياة واسعاد الإنسان، بعيدا عن كل جشع مادي نفعي اقتصادي، الذي كرسته النزعة الذاتية النفعية الحداثية، التي جعلت همها الوحيد الوصول إلى السطلة والسيطرة وتحقيق المكاسب الشخصية، بالإضافة إلى فكرة الحرية الواهية التي تقر بضرورة التصرف بالجسد دون المبالاة بأي اعتبار. دون أن ننسى النزعة الديمقراطية الشمولية التي تسعى إلى نبذ الاختلاف والقضاء عليه، وحتى الاختلاف الجيني لم يسلم منها عن طريق بحوث الاستنساخ والتعديل الجيني والتحسين الوراثي، التي تهدف إلى تنميط البشر على نمط جيني واحد. إذا أزمة الطب المعاصر أزمة أسس تستلزم إعادة النظر والتفكير وتلح على التغيير خدمة للإنسان أولا وأخيرا دون أطماع ومنافع مادية شخصية.

لم يكتفي فيروس كورونا بفضح الفشل العلمي والمعرفي فقط، ولا بكشف السياسات القمعية والتسلطية والحروب الإيديولوجية التي اتخذت المعرفة والعلم سلاحا لها، بل عمل على تعرية الوجه الخفي للبشرية برمتها، حيث أسقط القناع الذي تختفت حوله لقرون طويلة، حيث أن الإنسان ذلك الكائن الفريد من نوعه والمبدع الذي توصل إلى ابداع الكثير من الابتكارات التقنية والصناعية التي أبهرت العقول، وأنطقت الألسن تعظيما لها ولقدرة الإنسان على إبداع كل شيء وتجاوز كل الأزمات، لكن فيروس كورونا أثبت عكس هذا، فمهما تقدم الإنسان ومهما وصل من إبداعات، إلا أنه بقي عاجزا أمام فيروس متناهي الصغر لا يرى بالعين المجردة، حيث استطاع هذا الوباء أن يوقف كل أنشطة الإنسان على اختلافها، وأدخله في عزلة قصرية فوق إرادته، مما أدى إلى الهلع والقلق والتصورات السوداوية للمستقبل، كما أدى بالإنسان إلى الرجوع إلى تلك المنجزات متسائلا عن نفعها والجدوى منها، ليكتشف الوهم الذي عاش فيه طول هذه المدة نتيجة خضوعه للسلطة المعرفية ونتائج العلم، ويكشف كذلك الخداع الذي تعرض له نتيجة إيمانه بالتقنية والعقلانية والتحرر والتنوير والعلم.

فيروس كورونا كشف عن ضعف الإنسان من جميع الجوانب وأن القوة التي كان يدعي امتلاكها ماهي إلا وهم وأن التقدم والتحضر والتفوق العلمي والمعرفي والتقني ماهي إلا أساطير طوباوية وإيديولوجيات قمعية موجهة للسيطرة والاستلاب، وأن رفاهية الإنسان وسعادته ماهي إلا شعارات رنانة لاستمالة البشرية واخضاعها للعبودية، فالإنسان لم يتحرر أبدا بل انتقل من

عبودية عنيفة ممثلة في عبودية الإنسان للإنسان إلى عبودية ناعمة ممثلة في خضوعه للعلم والتقنية. هذه العوامل وغيرها هي سبب الأزمة البيوطبية المعاصرة التي كشف عنها فيروس كورونا المستجدة، والمنبثقة من الحداثة ومقولاتها كالعقلانية والتحرر وتوجهها العلمي الوضعي المادي على حساب كرامة وقدسية الإنسان، وعلى حساب سعادته ورفاهيته (هروس، 2020، الصفحات 345،344).

6- خاتمة ونتائج الدراسة:

مما سبق تقديمه وتحليله توصلنا إلى ما يلي:

رغم هذا التطور لم يستطع التقدم البيوطبي من علاج الآثار الصحية لفيروس كورونا المسجدة، حيث فشلت كل آلياته وتقنياته في إيجاد علاج أو لقاح، بل عجزت طرقه البديلة كالعلاج بالمضادات الحيوية والمكملات الغذائية. هذا ما زاد من حجم الأزمة لتمتد إلى الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية، من خوف وقلق، وتمزق في العلاقات الاجتماعية، وبطالة قسرية وغيرها. بالإضافة إلى مشاكل عديدة أخرى يعاني منها الإنسان المعاصر، مثل التميز العنصري وسياسات التهويل ونشر الاشاعات والأكاذيب. كما كشف عن أزمة سياسية تعاني منها الأنظمة الديمقراطية الشمولية.

قدم فيروس كورونا درسا قاسيا للإنسانية لتعيد النظر في حياتها، وفي مبادئها وقيمها، ومنظوماتها المعرفية، لا سيما البيوطبية التي تعاني أزمة أسس، تسببت فيها مقولات الحداثة من ذاتية مفرطة أنانية جشعة ونفعية واقصائية، إلى نزعة علمية أداتية مادية تفكيكية، وصولا إلى ديمقراطية شمولية تنفر من كل اختلاف وتقضي عليه. وعليه وجب إعادة النظر في الأسس التي تقوم عليها المعارف البيوطبية، مع ضرورة ارفاقها بإلزام أخلاقي يحد من تجاوزاتها، ويعيدها إلى جادة الصواب. وأخيرا، إنّ سبب هذه الأزمة هو غياب النظم والقيم الأخلاقية في البحث العلمي، وخاصة في الطب والبيولوجيا، فهي مجرد أقوال لم تجسم إلى أفعال. كما أن إفراغ الإنسان المعاصر من القيم الروحية والدينية، وسيطرة النزعة المادية الاستهلاكية سبب رئيسي في هذه الأزمة، وسبب في انتشارها الواسع بسبب عدم التزامه بالمسؤولية الوقائية.

يحتم علينا فيروس كورونا اليوم إعادة النظر في منظومتنا المعرفية من خلال تخليصها من النزعة القمعية والتسلطية، عن طريق استبدال العقلانية الأداتية بعقلانية أكثر مرونة تجعل من قدسية وكرامتها أولويتها الأولى وغايتها القصوى، وتضعها في مكانة فوق كل تجريب مهما كان الظرف ومهما كانت الإغراءات، كما يتوجب علينا تخليص المعرفة والعلم من كل الإيديولوجيات والاستخدامات السياسية والاقتصادية المقيتة القمعية التي تهدف إلى السيطرة وتحقيق المنفعة الشخصية. بالإضافة إلى هذا كله يجب أن نعيد القيم ورقابة القيم والأخلاق داخل نشاطات الإنسان وحياته، ولا سيما داخل الطب والبيولوجيا بوصفهما أكثر مجالين يهددان كرامة وقدسية

الإنسان. كما يتوجب علينا اليوم أكثر من أي وقت مضى أن نخرج من عزلتنا التي فرضتها علينا الحداثة ومن النزعة الشمولية إلى الاحتكاك مع الآخر ومصالحته وتوطيد العلاقات معه وتعزيز قيم التضامن والتشارك والتعاون، لأن أزمة كورونا أثبتت أن العلاقات الاجتماعية مفككة مما زاد من عمق الأزمة، كما أبانت الأزمة على خواء روحي يعاني منه الإنسان المعاصر والذي تسبب في زيادة الخوف والهلع والقلق داخل النفوس، وذلك بسبب غياب الدين في حياة الإنسان، لأن الدين كما هو معلوم يعزز الطاقة الروحية ويمنح التوزان النفسي ويدعم الثقة لدى الإنسان، ويعمل على التقليل من الخوف والهلع، وعليه يجب إعادة الدين إلى حياة الإنسان الذي غيبته النزعة العلمية والتقنية بتوجهها المادي الاستهلاكي. كما يجب علينا الانتقال إلى سياسة الأفعال والتطبيق بدل سياسة الأقوال والكلام، من خلال توحيد الجهود وتكثيفها في خدمة الإنسان لا في محاولة تدميره واسنلابه. الكثير من الدروس استخلصناها ومزال الكثر منها لاستخلاصها ولكن السؤال المطروح هل ستستفيد الإنسانية منها وتصحح هفواتها أم ستعود إلى سابق ممارساتها وكأن شيئا لم يحدث؟ هذا ما نسكتشفه في المستقبل بعد زوال الجائحة وعودة الحياة إلى طبيعتها.

المراجع :

1. حفيظ هروس. (2020). الزمان الوبائي دراسات في الدين والفلسفة والفكر. دط. أكادير. منشورات مركز تكامل الدراسات والبحوث مكتبة قرطبة.
2. جان شارل سورنيا. (2002). تاريخ الطب من فن المداواة إلى علم التشخيص. دط. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
3. جويل دو روزناي، مغامرة الكائن الحي، تر،أحمد ذياب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1، 2003.
4. فانغ هوي. (2020). دليل الوقاية من فيروس كورونا المستجد. دط. المستقبل الرقمي.
5. اللجنة الوطنية الصينية للصحة ومكتب الإدارة الوطنية للطب الصيني. (2020). الدليل الشامل لفيروس كورونا المستجد (معارف عامة، الأعراض، التشخيص، طرق الوقاية، الرعاية النفسية، الشائعات).دط. بيت الحكمة للاستثمارات الثقافية.
6. مجموعة مؤلفين. (دت). أزمة كورونا وانعكاساتها على علم الاجتماع وعلم السياسة والعلاقات الدولية. دط. جامعة قطر. مركز ابن خلدون للعلوم الإنسانية والاجتماعية.
7. مجموعة مؤلفين.(2020). جائحة كوفيد-19وآثارها الاجتماعية والتربوية والنفسية، منشورات مركز تكامل للأبحاث والدراسات. ط1. فاس. مطبعة ووراقة بلال.
8. مجموعة مؤلفين. (2020). الزمان الوبائي دراسات في الدين والفلسفة والفكر، منشورات تكامل للدراسات والأبحاث. دط. أكادير. مطبعة قرطبة.

9. محمد ولد عامر، وآخرون. (2020). معجم مصطلحات كوفيد-19 إنجليزي فرنسي عربي. دط. الرباط. المملكة المغربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مكتب تنسيق التعريب.
10. مظهر أحمد الموصلي. (2020). الكورونا الوقاية والعلاج بالنباتات الطبية. دط. دار المعتز للنشر والتوزيع.
11. معاوية أنور العليوي. (2020). كورونا القادم من الشرق. ط1. منارة العلم.
12. ميتشو كاكو. (2001). رؤى مستقبلية كيف سيغير العلم حياتنا في القرن الواحد والعشرين. دط. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
13. Abbo Michael.(2020A). doctor answers you questions.Howsmyhealthdoc.com.
14. Hobbes Thomas. & Hreng Thomas. (n.d). Coronavirus closings the hoppenings Covid-19.
15. Prablakar Hemanshu. (2020). clinical synopsis of Covid-19 evolving and challengin. Singapure. springer nature.
16. Tinku Joseph. & Ashkan,Mohamed. (n.d).Internationalpulmonologists consensus on Covid-19. Associate Prof. & Interventional Pulmonologist Amrita Institute of Medical Sciences. Kochi. Keral. Indi.
17. ŽIŽEK, S. (2020). Pandemic Covid-19 shoks the world. New York and London. on books.